باب المراسلة والمناظرة

المخطوط النفيس

طبقات الحنابلة لابن ابي يعلى الفراء

للاستاذ طاهر التنوخي

بينا أنا أقلب النظر في مخطوطات المكتبة الظاهرية في دمشق منقباً عن آثار أسلافنا، اذا بي أعثر فيما اعثر عليه على كتاب الطبقات لابن أبي يعلى المعروف بأبي الحسن محمد الفراء، فطفقت أقلب صفحاته حتى أتيت على آخره وأنا أقول: أليس من المؤسف المحزن ان يظل هذا الأثر النفيس في زوايا الاهمال لم يطبع حتى الآن؟ ولعل المجمع العلمي يصل في الآتي إن شاء الله على طبعه وطبع أمثاله من النوادر الموجودة لديه والتي احتوتها خزانة الظاهرية المليئة بالكنوز الثمينة.

وإن آسف لشيء فانما آسف لاقدام المجمع مؤخراً على الرسالة الجامعة للمجريطي تلك الرسالة المشبعة بروح الالحاد ومما لا يسوغ نشره البتة ونحن اذ نكتب كلمتنا هذه نشكر للأستاذ الكبير السيد عارف النكدي عضو المجمع العلمي لموقفه المشرف.

الكتاب في حجم النصف شذرات ٤ — ٧٩ فيه حروف غير معجمة خطه جيد بالقلم النسخي عدد أوراقه ١٥٨ — أسطر الصحيفة ٣١ أوراق الأصل مع الذيل ٣٥٨ المكتوب طولاً ٢٢ سم ونصف سم للمكتوب عرضاً ١٣ — سم ونصف سم عرض الحاشية العليا ٢ سم عرض الحاشية السفلى ٣ سم عرض الحاشية اليمنى ٤ سم عرض الحاشية اليسرى من ٢ سم الى ١ سم ونصف سم — طول الورقة ٢٨ سم عرضها مع الحواشي ١٨ سم.

الكتاب مجلد يشتمل على طبقات الحنابلة لابن ابي يعلى وعلى الذيل لابن أبي رجب الحنبلي البغدادي المتوفى سنة ٧٩٥ وأوله: بسم الله الرحمن الرحيم وما توفيقي الا بالله.

حدثنا الشيخ الامام الحافظ أبو المزعد المغيث بن حرب بن زهير الحربي قال : حدثنا القاضي الامام الأوحد السعيد الشهيد أبو الحسين محمد بن محمد بن الحسين بن خلف ابن الفراء الحنبلي رضي الله عنه من لفظه وكتابه وذلك سنة أربع وعشرين وخمسمائة قال : الحمد لله العلي العظيم السميع البصير ذي الفضل الواسع والمن التوابع والنعم السوابغ والحجج البوالغ علا فكان فوق سبع سمواته ثم على عرشه استوى يعلم السر وأخفى ويسمع الكلام والنجوى أنزل القرآن بعلمه وأنشأ خلق الانسان من تراب بيده ثم كرّمه بكلمه وأصفى رسوله ابراهيم بخلته ونادى كليمه موسى بلفظه — ثم قال : هذا كتاب استخرنا الله تعالى في تأليفه وسألناه المعونة على تصنيفه وسطرنا فيه ما انتهى اليه من أخبار شيوخنا أصحاب امامنا الامام الأفضل أبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن ادريس بن عبد الله بن حيان بن عبد الله بن أنس بن عوف بن قاسط بن مازن بن ذهل بن شيبان بن ثعلبة بن عكابه بن صعب بن علي ابن بكر بن وائل الخ . . .

وآخر التراجم : ترجمة أبي البركات طلحة بن أحمد بن طلحة وجاء في آخره ما يلي :

وافق الفراغ منه يوم الخميس ثالث عشر من ربيع الأول سنة خمس وثلاثين وثمانمائة وكتبه الياس بن خضر بن محمد بن جبرائيل التركماني نشأه الله نشوءاً صالحاً ووفقه لحفظ كتابه والعمل به والانتفاع بالعلم الموروث من أهله وفقهه في الدين وجعل أمورنا وعواقبها رشداً وخيراً .

وفي المكتبة الظاهرية نسخة أخرى اشتملت على الطبقات والذيل أيضاً ٣٢١ ورقة ٢٧×١٨ سم ٢٣ سطراً ٤ سم حاشية عليها تعليق حرفه الى الكبر أقرب بأقلام مختلفة استعملت الحمرة في آخر النسخة لبعض الأسماء علق سنة ٨٣٠ جلد مستور بالورق وقف عيسى بن طريف على الحنابلة بمدرسة أبي عمر . أما أول الذيل فهو بسم الله الرحمن الرحيم — الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين وعلى أزواجه الطيبات الطاهرات أمهات المؤمنين . قال الشيخ الامام العالم المقرئ العامل الزاهد الحافظ المحدث زين الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن الشيخ الزاهد الامام العالم المقرىء شهاب الدين أبي العباس أحمد بن حسن بن رجب رحمهم الله تعالى برحمته .

هذا كتاب جمعته وجعلته ذيلاً على طبقات فقهاء أصحاب الامام أحمد للقاضي أبي الحسين محمد بن القاضي أبي يعلى رحمهم الله تعالى وابتدأت فيه بأصحاب القاضي أبي يعلى وجعلت ترتيبه على الوفيات والله تعالى المسؤول أن ينفع به في الدنيا والآخرة بمنه وكرمه .

وقد ابتدأ في التراجم من سنة ٤٦٠ الى سنة ٧٥١ على السنين وآخر التراجم ترجمة محمد ابن أبي بكر الشهير بابن قيم الجوزيه المتوفي في رجب لسنة ٧٥ ه وجاء في آخر الكتاب ما نصه : —

وكان الفراغ من تعليقه بحمد الله وعونه وحسن توفيقه يوم الأحد سابع عشر من شهر شعبان سنة أربع وثلاثين وثمانمائة، وكتبه الياس بن خضر بن محمد بن جبرائيل التركماني وفي الآخر ست ورقات في معنى العلم وانقسامه الى علم نافع وغير نافع لم يذكر مؤلفها ولا كاتبها وقد وجدت على ظهر الذيل ما نصه —

هذا ما وقفه الوزير المعظم والمشير المفخم صاحب الخيرات والمبرات جناب الحاج أسعد باشا والي الشام واميرالحاج عى مدرسة والده المرحوم الحاج اسماعيل باشا طاب ثراه، واشترط الواقف الموما اليه ان لا يخرج من مكانه.

وقد وجدت مكتوباً على ظهر الطبقات ما نصه : —

وقفه وسائر كتبه شيخنا العلامه أبو الحسن علي بن عروة على طلبة العلم الحنابلة انتهى. اختصر الطبقات العلامه شمس الدين بن أبي عبد الله محمد بن عبد القادر بن عثمان النابلسي المتوفي سنة ٧٩٧ وقد قام بطبع هذا المختصر الأديب الفاضل السيد أحمد عبيد صاحب المكتبة المشهورة في دمشق بعد ان راجع الأصل وقد أفاد بطبعه ايما أفادة

وقد ذكر الطبقات صاحب كشف الظنون فقال : وقد جعل المؤلف هذه الطبقات على سيرة طبقات الأولى والثانية على حروف المعجم وما بعدها على تقديم العمر والوفاة، وانتهى فيه الى سنة ٥١٢ ... أما النسخ الموجودة منه في المكتبات فهي :

١ — نسخة في خزانة باشكي فوز مكتوبة في سنة ٦٣٧ تحت الرقم ٢٤٦٥ وهي في مجلدين

٢ — نسخة أخرى في المكتبة العلوية وهي في ثلاث مجلدات

٣ — نسخة أخرى في الخزانة الآصفية مكتوبة بخط جديد وهي من رواية الشيخ الامام عبد المغيث بن زهير الحربي أوراقها ١٧٥

٤ — نسخة منه في مكتبة عاشر أفندي تحت الرقم ٦٧٠

وقد ذكر صاحب كشف الظنون الذيل لابن رجب فقال وصل فيه الى سنة ٧٥٠ وقد أخذ الحافظ بن حجر في الدرر الكامنة أكثر تراجم العلماء الحنابلة من هذا الكتاب .

أما النسخ الموجودة منه في المكتاب فهي فيما نعلم :

١ — نسخة في مجلدين بقلم نسخي بخط محمود صدقي نقلها من نسخة عراقية مخطوطة في دار الكتب المصرية برقم ٢٥٢٣ وهي مأخوذة عن نسخة مكتوبة بخط المقرىء شهاب الدين أحمد بن عبد اللطيف الساوي المكي الحنبلي سنة ٨٧٦ هـ وفرغ من كتابتها سنة ١٣٥١ هـ الموافقة سنة ١٩٣٢ م في ٧٥ و ٣٠٠ ورقة سطورها ٢١ سطراً في حجم الربع ٤٤١١.

٢ — نسخة منه في خزانة پانكي فور تحت الرقم ٢٤٦٦

٣ — نسخة أخرى في مكتبة عاشر أفندي تحت الرقم ٦٦٩

٤ — الجزء الثاني منه في خزانة المكتب بندوة العلماء

٥ — الجزء الثالث في المكتبة السندية ٢٠١ بخط قديم

٦ — نسخة أخرى في خزانة ليبسك

٧ — نسخة أخرى منه في ثلاثة مجلدات مخطوطة في الخزانة المصرية وهي مأخوذة بالتصوير الشمسي عن النسخة الخطية التي كتبها شهاب الدين أحمد بن عبد اللطيف المكي الحنبلي وفرغ منها سنة ٨٣٦ ومحفوظة بمكتبة كوبرلي بالاستانة وبأولها فهرس الاسماء... ومؤلف الطبقات هو القاضي أبو الحسين محمد بن الشيخ المذهب القاضي الكبير أبي يعلى محمد بن الحسين بن محمد بن خلف بن أحمد بن الفراء الحنبلي ولد ليلة النصف من شعبان سنة احدى وخمسين وأربعمائة وتوفي والده وهو صغير وقد كان والده من شيوخ العلم في عصره حتى انه لقب بالامام شيخ الاسلام. وقد كان ألف كتاب الصفات فأحدث ضجة كبيرة في بغداد وقامت من أجل كتابه هذا فتن عظيمة بين الحنابلة وبعض أهل السنة الذين هم اشعريو المذهب ورموه بالتجسيم. استفتى صاحب الطبقات على هذه الضجة حول كتاب أبيه والصخب المستمر وتذكر العلماء لأبيه وهاتيك الفتن القائمة بين المذاهب الاسلامية. ففي سنة ٤٧٥ هبط بغداد الشريف أبو القاسم البكري المغربي الواعظ وكان اشعريّ المذهب وكان قد قصد نظام الملك فأحبه ومال اليه وسيره الى بغداد وأجرى عليه الجراية الوافرة فوعظ بالمدرسة النظامية وكان يذكر الحنابلة ويشنع عليهم ويعيبهم ويشدد النكير عليهم بصورة بشعة ثم انه قصد يوماً دار قاضي القضاة أبي عبد الله الدامغاني بنهر القلائين فجرى بين أصحابه وبين قوم من الحنابلة مشاجرة أدت الى الفتنة وكثر جمعه فكبس دور بني الفراء وجلهم ما بين أديب وفقيه ولغوي ومحدث وأخذ كتبهم وأخذ منها كتاب الصفات

لأبي يعلي والد المترجم فكان يقرأ بين يديه وهو جالس على الكرسي فوعظ فبشنع به عليهم ويرميهم بالتجسيم ويكفرهم ويقول ما كفر أحمد ولكن أصحابه كفروا وما كفر سفيان ولكن الشياطين كفروا وجرى له معهم خصومات وقامت من أجل ذلك فتن لا تعد لسردها أساءت الى الاسلام والمسلمين في الاقطار النائية فما هي حال المترجم بعد هذه الفتنة العمياء المضلة التي آثارها أبو القاسم المغربي وبعد غشيان بيته وبيت أبيه وأخذ كتبه ؟ وفيما اعتقد أنه انما عمد الى تأليف كتاب الطبقات وسرد تراجم العلماء الاعلام فيه الذين يدينون بمذهب الامام أحمد رضي الله عنه ممن تقدموه على أثر هذه الضجة التي أثيرت حول كتاب أبيه والمقدمة التي ذكرنا طرفاً منها وصدر بها كتابه هذا وفيها من ذكر الصفات ما يدل على عقيدته وتأثره من أولئك المعارضين الذين ما انفكوا يثيرون العامة ويستفزون العلماء ضد آل الفراء ويرمونهم بالتجسيم، وقد كانوا في القدح المعلى من العلم والفضل على عقيدة السلف .

وبينما كان صاحب الطبقات في داره بباب المراتب في بغداد منفرداً في بيت من بيوتها ينام فيه وحده والى جانبه كتبه وتآليفه وبحوزته الثمينة الشيقة اذ نزل عليه جماعة ممن كانوا يخدمونه ويترددون عليه من أصحابه ليلاً فأخذوا ماله وقتلوه ليلة الجمعة سنة ست وعشرين وخمسمائة وهي ليلة عاشوراء ولاذوا بالفرار وصلي عليه يوم السبت حادي عشر المحرم ودفن عند أبيه في مقبرة باب حرب وكان يوماً مشهوداً ويشاء الله ان يعرف بعد ذلك قاتليه الشام فيؤتى بهم ويقتلون جميعهم ولم ينج منهم أحد فرحمك الله يابن أبي يعلي وأغدق عليك شآبيب رضوانه وأسكنك فراديس جناته .

وله تصانيف كثيرة في الاصول والفروع وغير ذلك منها : ايضاح الأدلة في الرد على الفرق الضالة المضلة — التمام لكتاب الروايتين والوجهين الذي ألفه أبوه ، تنزيه معاوية بن أبي سفيان — رؤوس المسائل — الرد على زائغي الاعتقادات في منعهم من سماع الآيات — شرف الاتباع وشر الابتداع طبقات الاصحاب (وهو أصل هذا الكتاب) المجرد في مناقب الامام أحمد — المجموع في الفروع — المفتاح في الفقه — المفردات في الفقه — المقنع في النبات.

هذا ولعل صاحب الجلالة الملك عبد العزيز آل السعود أدام الله عزه وأبقاه للعرب والاسلام عماداً يصدر أمره العالي بطبع هذا الكتاب مع الذيل لما فيهما من الفائدة والنفع العام للأمة وبذلك يكون — أيده الله في عمره — قد أحيا أثراً نفيساً من آثار السلف الصالح له مكانته المرموقة بين الآثار وانه لفاعل إن شاء الله .

(حلب)